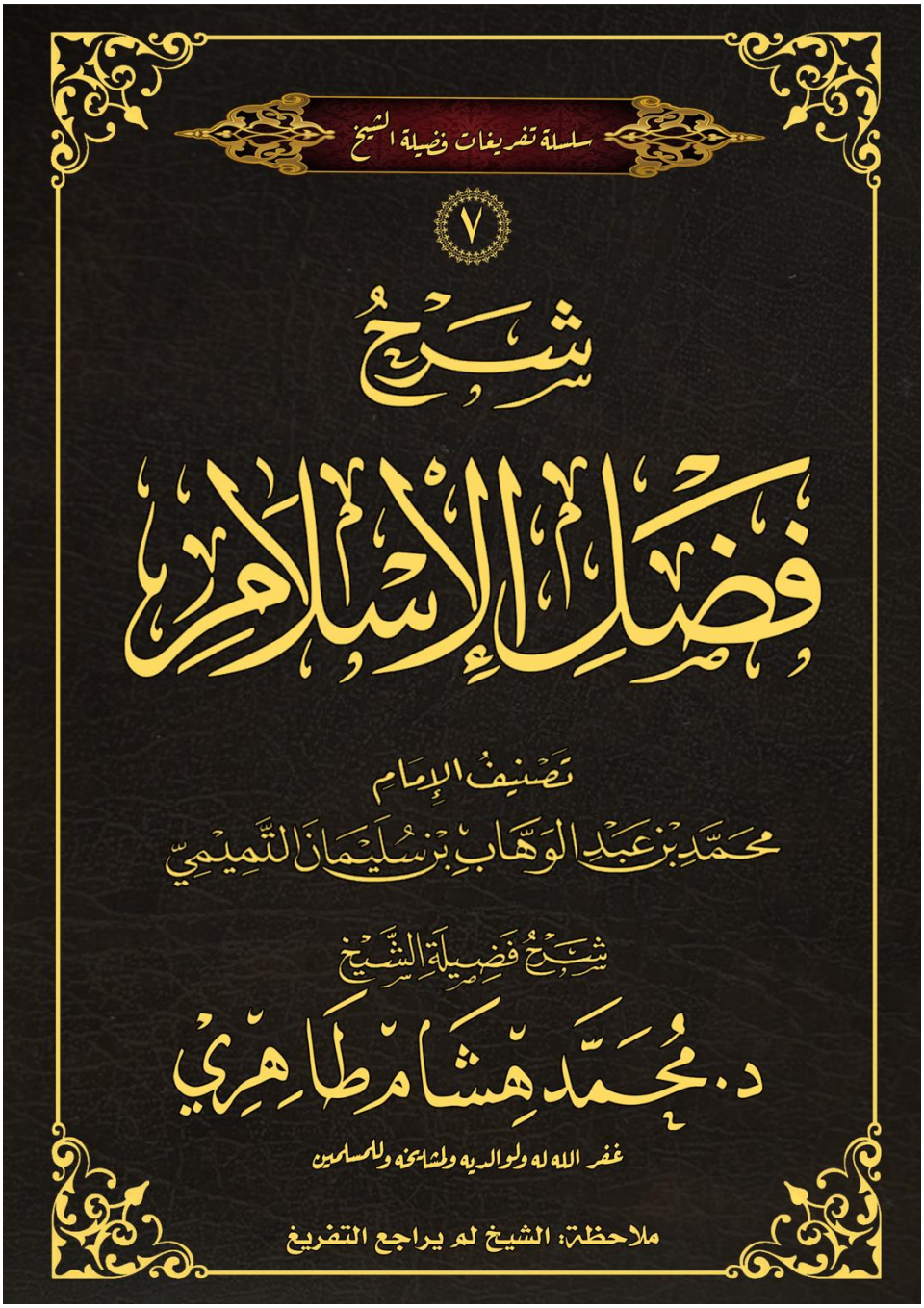
سلسلة تفريغات فضيلة الشيخ
٧
شرح
فضل الإسلام
تصنيف الإمام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
شرح فضيلة الشيخ
د. محمد هشام طاهري
غفر الله له ولوالديه ولشايخه وللمسلمين
ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا هو المجلس السادس من مجالس الدورة التأصيلية الأولى في دورتها الثانية، والمجلس الثاني في قراءة كتاب: [**فضل الإسلام**]، ونحن في يوم السبت التاسع من شهر ربيعٍ الأول، عام ١٤٤٠من هجرة المصطفى ﷺ.

كنا قد وقفنا على قوله: (**باب قول الله تعالى:** ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨٥])، فنبدأ على بركة الله، ونسأله جل وعلا العلم النافع والعمل الصالح.

المتن:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين أجمعين.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في رسالته [**فضل الإسلام**]:

قال: **بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** [سورة آل عمران، من الآية:٨٥] **الآية.**

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَجِيءُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلاةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنَا الصَّلاةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلامُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنْتَ السَّلامُ، وَأَنَا الإِسْلامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ اللَّهُ تعالى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾**» رواه الإمام أحمد.

وفي الصحيح عَن عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» رواه الإمام أحمد.

الشرح:

قوله رحمه الله: (**بَابُ قول الله تعالى:** ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨٥] **الآية**)؛ وجه الشاهد: أن هذا الباب فيه دلالة على فضل الإسلام؛ لأن الله لا يقبل دينًا غير الإسلام، وقد مرَّ معنا تفسير الآية، لكن هذا الباب فيه بيان أن مما يدل على فضل الإسلام أن الله لا يقبل من أحدٍ تعبدًا ولا طاعةً ولا دينًا غير الإسلام، وهذا فضل عظيم لهذا الدين المبارك الذي كان عليه آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ.

ثم أورد فيه المصنف رحمه الله حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، وهذا الحديث فيه بيان أن الله ﷻ قادرٌ على أن يجعل الأعراض ذوات تجئ وتتكلم، ففعل العبد عرض، فعل العبد عرض ولا ما هو عرض؟ عرض، والله ﷻ يجعلها يوم القيامة تجيء.

المقصود (**فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ**)؛ يعني: فعل الصلاة، (**وتَجِيءُ الصَّدَقَةُ**)؛ يعني: فعل الصدقة، وتجيء الصوم؛ يعني: فعل الصوم، (**ويَجِيءُ الإِسْلَامُ**)؛ يعني: إسلام العبد، أو الصلاة التي شرعها الله يجعلها الله عرضًا، من هذا الباب فيجيء القرآن، أي: قراءة العبد، يجيء القرآن يعني قراءة العبد، فتجيء البقرة؛ أي: قراءة العبد للبقرة، وأما القرآن فكلام الله ﷻ.

هذا الحديث وإن كان إسناده ضعيف لكن أورده الإمام رحمه الله؛ لأن معناه صحيحٌ اتفاقًا، فإن الله ﷻ لا يقبل من الأعمال إلا إذا كان مبنيًا على التوحيد، مبنيًا على الإخلاص، وهذا المعنى دلَّ عليه آيات وأحاديث كثيرة جدًّا.

ثم ختم المصنف رحمه الله هذا الباب بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**)؛ ما وجه إيراد هذا الحديث تحت هذا الباب؟ وجه الإيراد أن أعمال الكفار ليست على وفق الإسلام، فلذلك هي مردودة، وهذا أيضًا يدل على فضل الإسلام الصحيح، فضل السُّنَّة التي كان عليها النبي الكريم ﷺ وأصحابه.

المتن:

أحسن الله إليكم.. قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: **بَابُ وُجُوبِ الاسْتِغْنَاءِ بِمُتَابَعَةِ الْكِتَابِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ:**

وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:٨٩] الآية، روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ؛ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورقةً من التوراة، فقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي ضَلَلْتُمْ**»، وفي روايةٍ: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»، فقال عمر: "رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا".

الشرح:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**بَابُ وُجُوبِ الاسْتِغْنَاءِ بِمُتَابَعَةِ الْكِتَابِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ**)؛ ما وجه هذا الباب في بيان فضل الإسلام؟ وجهه أنه دينٌ كاملٌ؛ فكتابه فيه الغنى، دينٌ كاملٌ فكتابه القرآن فيه الغنى، والغُنية، والكفاية عن كل كتابٍ سواه، فالقرآن لا يحتاج إلى التوراة، ولا إلى الإنجيل، ولا إلى الزبور، بينما الإنجيل والتوراة والزبور محتاجة إلى القرآن، لماذا؟ لأن أحكامها كانت مناسبة لأوقاتها، ثم زالت هذه المناسبات فهي بحاجة إلى كمالٍ لهذا الزمان المناسب للحال.

ومعنى قوله: (**وُجُوبِ الاسْتِغْنَاءِ بِمُتَابَعَةِ الْكِتَابِ**)؛ الاستغناء طلب، الغنى والغناء بمعنىً واحد عند العرب، الغناء؛ فلانٌ غنيٌّ وفيه الغَنى، أو فيه الغِنى بمعنىً واحد، ولذلك سُمي الغناء غناءً؛ لأن أصحابهم يستغنون به عن كل طربٍ آخر، واضح؟ لماذا سُمي الغناء غناءً؛ لأن أهله يستغنون به عن كل طرب، فهم في طربهم أغنياء عن كل شيء، ولهذا لا تستبعد حينما تسمع كلام العلماء أن الغناء والقرآن لا يجتمعان؛ لأن أولئك دخل في قلوبهم حب الغناء، فخرج حب القرآن، وانشغلوا بالغناء عن القرآن.

(**وُجُوبِ الاسْتِغْنَاءِ**)؛ أي: وجوب طلب الغناء، طلب الاستغناء، كيف نطلب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه؟ نستيقن أن هذا القرآن مائدة منزلة من السماء، آية من آيات الله، فيها الغُنية والكفاية، (**الاسْتِغْنَاءِ**

بِمُتَابَعَةِ الْكِتَابِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ)؛ "ما" هنا نكرةٌ موصوفة، عن كل شيءٍ سواه، والمقصود هنا بالشيء يعني: الكتب، عن كل كتابٍ سواه.

فإن قال قائل: فإن السُّنَّة شارحة للقرآن، وقد قال العلماء: إن القرآن فيها مبهمات ومجملات بحاجة إلى شرح السُّنَّة؟ قلنا: نعم، لكن السُّنَّة دليلها القرآن، من الذي أمرنا أن نسمع كلام النبي ﷺ؟ القرآن، قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [سورة النور، من الآية:٥٤]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٩٢]؛ هذا وجه.

والوجه الثاني: أن المقصود **(عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ)**؛ أي: عن كل كتابٍ منزلٍ سواه، والسُّنَّة منزلة، والمقصود هنا: التوراة، والإنجيل، والكتب السابقة، ولذلك لما ذكر الله وصف القرآن في القرآن ماذا قال؟ قال: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:٨٩]؛ وقال: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٤٨]؛ هذا القرآن مهيمن على كل الكتب، ولا يوجد كتاب يستطيع أن يُهيمن على القرآن، ولذلك هو أكثر كتابٍ يُقرأ في العالم، لا يوجد كتاب يُقرأ مثل القرآن.

إذًا هذا الباب واضح في الدلالة على فضل الإسلام أن الكتاب المنزل كتابٌ كافٍ فلا نحتاج إلى كتب الأنبياء السابقين، لو لم يغير، فكيف لو غُيرت وبُدلت.

قال رحمه الله في الدلالة على الباب: **(وقول الله تعالى:** ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:٨٩]**)**؛ تبيان يعني: توضيحًا، تجليًا، فالقرآن مبيَّنٌ ومبيِّنٌ، بيَّنه الله وهو يُبيِّن لنا فيه الأحكام، تبيان؛ بيِّن بمعنى: واضح.

﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:٨٩]؛ ظن بعض الناس أن كل شيءٍ ليست.. أن كلمة كل شيء ليست كلية مطلقة، والصواب: أنها كلية مطلقة، فالقرآن فيه تبيان لكل شيءٍ، لكن هذه الكلية المطلقة بحسب السياق، ما تجي أنت

تقول لي: والله القرآن ما علمنا كذا وكذا، لا تبيان لكل شيءٍ تحتاجونه فيما يوصلكم إلى المنزِّل وهو الله، تبيان لكل شيءٍ تتقربون به إلى الله ﷻ.

وإن كان بعض العلماء يرى أن هذا القرآن تبيان لكل علمٍ، لكل شيءٍ على الإطلاق؛ حتى علوم الدنيا، كما هو قول ابن عباس، وهو قول جمعٍ من المفسرين: أن القرآن تبيان لكل شيء على الإطلاق للدنيا والدين، لكن قصُر عن فهمه الأذهان، أو أن المراد تبيان لكل شيء، إما بالمنطوق، وإما بالمفهوم، وإما بالإيماء والإشارة، أو التضمن واللزوم.

فمثلًا: لو جاء إنسان وقال: ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات، من الآية:٣٠]؛فقال: فيه إشارة إلى الأضلاع الهندسية الثلاثية، ما في إشكال، لكن القرآن ما أُنزل لبيان الهندسة، لذلك نقول: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:٨٩]؛ يقربكم إلى الله هذا هو الصواب، وأما غيره فقد يكون فيه دلالة على سبيل الإشارة، قد يكون في القرآن قدر من التحقيق، في القرآن دلالة على سبيل الإشارة.

مثل ما يُذكر عن محمد عبده؛ الشيخ محمد عبده رحمه الله أنه كان مع بعض المستشرقين، فقال له بعض المستشرقين: إن قرآنكم فيه أنه تبيان لكل شيء، قال: صحيح، قال: نحن الآن نأكل، فكيف طُبخ هذا الطبخ؟ فنادى الطباخ فلما جاء قال: كيف طُبخ هذا الطبخ؟ فبيَّن لهم كيف طبخ، قال سمعت؟ قال: نعم، قال: هكذا، قال: لكن هذا ما قاله القرآن، قال القرآن قال: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:٨٩]، وفيه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٤٣]، ففهم كلمة أهل الذكر على سبيل العموم، لكن هذا على وجه ما يسميه البلاغيون على وجه التوسعة اللغوية، وإلا فإن النصوص لا تساعد على هذه المعاني، فالقرآن فيه كل شيءٍ نتقرب به إلى الله، ما يمكن فيه شيء ناقص.

ثم أورد رحمه الله في حديث النسائي -رحمه الله تعالى- **(وغيره عن النبي ﷺ؛ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب ورقةً من التوراة)**؛ وهذه بعد فتح خيبر، بعد فتح أيش؟ خيبر، **(فقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ!»)**؛ ومعنى:

(**أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ**)؛ التهوك في الشيء: الخوض فيه بلا بينةٍ، ومعنى هذا: أنكم كيف تخوضون في الكتب السابقة وتتركون الذي جاء من عند الله ﷻ؟ (**أَمُتَهَوِّكُونَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ**).

وقال بعض العلماء: التهوك التحير، "أمتحيرون يا ابن الخطاب حتى تحتاجوا في النظر إلى التوراة والإنجيل؟"، لكن هذا المعنى لا يُساعد، الأول هو الأفضل الأحسن؛ لأن عمر لم يكن متهوكًا بمعنى شاكًا أبدًا؛ إذًا لماذا جاء بهذه الصحيفة التي في التوراة؟ لأن فيها بعض ما كان من أوصاف النبي ﷺ، أو لينظر فيها لعله أن يجد شيئًا مما يكون في القرآن من هذا الباب.

(**لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً**)؛ البيضاء عكس الظلماء، عكس السواد، ونقية بمعنى: صافية، عكس العُميَّة، عكس أيش؟ العُميَّة والغُميَّة، تقول: جوٌّ نقيٌّ وجوٌّ صافٍ، وتقول: اليوم صحوٌ ونقاء، أو تقول: غيمٌ وغمامٌ أو غبش، معنى هذا انتبهوا! أن الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ شريعة بيضاء لا ظلام فيها، ونقية لا غبش فيها.

إذًا إذا كان الأمر كذلك، فهل نحتاج إلى نورٍ وضياءٍ غير الضياء الموجود عندنا؟ متى الإنسان.. متى تشغلون الليتات؟ إذا خف نور الشمس، صح ولا لا؟ لكن مع وجود نور الشمس هل نحتاج إلى الإضاءة؟ ما نحتاج، لكن قد يكون نور الشمس موجودة لكن هناك غيوم فنحتاج إلى إضاءة ولا لا؟ طيب.. إذا كان الشريعة التي جاء بها النبي بيضاء ونقية؛ إذًا في كلا الحالتين لا نحتاج إلى أي كتابٍ آخر، مائدة كاملة تامة.

ثم قال: (**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا**)؛ موسى ابن عمران؛ كليم الله، (**وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي ضَلَلْتُمْ**)؛ لماذا الإنسان يضل؟ لاحظ الآن! لأن شريعة موسى عليه السلام منسوخة، وشريعة النبي ﷺ ناسخة، فيتبع الإنسان المنسوخ ويترك الناسخ يضل.

سأضرب لكم مثال: لو جاء اليوم إنسان، وقال: القدس قبلتنا أولًا، أنا سأصلي إلى القدس، صلاته صحيحة ولا باطلة؟ باطلة بالإجماع، وهو على ضلالة ولا على هدى؟

شوفتوا كيف؟! لِمَ؟ لأن ذلك كان شرعًا ثم نُسخ، واضح ولا لا؟ فدين موسى عليه السلام بعد مبعث النبي ﷺ منسوخة، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨١]؛ شوفوا الآن هذا سابق وهذا لاحق، ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾؛ يعني لاحق، ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨١]؛ إذًا لا يصح للرسول الذي يأتي بعد.. لا يصح للرسول الذي قبل أن يُصر على ما كان عليه، بل عليه أن يتبع الرسول الذي جاء بعد، لماذا؟ لأنه يجيء بناسخٍ، يجيء بزيادات، من هنا كان ضلال وبداية انحراف اليهود، تركوا ما جاء به عيسى عليه السلام وأصروا عن المنسوخات والأسرار والأغلال التي كانت عليهم، شفتوا كيف؟ فنفس الكلام، **(لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي ضَلَلْتُمْ)**.

(وفي روايةٍ: «لَوْ كَانَ مُوسَى ابن عمران»)؛ تأملوا هذه العبارة، **(لَوْ كَانَ مُوسَى ابن عمران)**؛ أو **(لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي)**؛ هذه اللفظة في مسند الإمام أحمد، **(لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي)**؛ للآية التي تلوناها قبل قليل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨١]؛ آية أيش؟ سورة أيش؟ وين الحفاظ؟

مداخلة: آل عمران.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨١]؛ آل عمران وليس الأعراف؛ إذًا..

مداخلة: الشفاعة العظمى.

أحسنت.. حتى الشفاعة العظمى، نعم لا ينالها إلا نبي آخر الزمان.

(فقال عمر رضي الله عنه: "رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا")؛ هذه الجملة إن قلنا: متهوكون يعني متخوضون، فمعناه: لم

نخض لعدم رضانا ولا للانقياد؛ إذًا معناه: أنه لن يخوض، وإذا قلنا متهوكون يعني: متحيرون معناه أنه يخبر أنه ليس متحيرًا، بل هو راضٍ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وإنما كان فضولًا، وإنما كان اطلاعه فضولًا، أو مقارنةً.

وهنا يأتي سؤال: هل تجوز المقارنة بين الأديان؟ يعني مثلًا الصلاة عند اليهود الصلاة عند المسلمين، الجنة عند اليهود والجنة عند المسلمين، إذا كان لبيان الحق لا بأس به، أما إذا كان للنظر؛ مجرد النظر لا يجوز، المقارنة بين الأديان لمجرد النظر لا يجوز، لبيان الحق من المتمرس أمرٌ مباح، فرقٌ بين الأمرين (**رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا**)؛ وهذه الجملة أيضًا فيها دلالة على فضل الإسلام، وأنه قائمٌ على الرضا بعبادة الله؛ لأنه الرب، والتدين بالإسلام دينًا، واتباع النبي ﷺ رسولًا.

نكتفي بهذا القدر، ونسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.